

تفسير السعدي

@ 495 @ الذميمة ، وترتع في مراتعه الوخيمة ، فتدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه ،
بالأسهل فالأسهل ، فأخبره بعلمه ، وأن ذلك ، موجب لاتباعك إياي وأنتك إن أطعني ، اهتديت
إلى صراط مستقيم ، ثم نهاه عن عبادة الشيطان ، وأخبره بما فيها من المضار ، ثم حذره
عقاب الله ونقمته ، إن أقام على حاله ، وأنه يكون وليا للشيطان ، فلم ينجع هذا الدعاء ،
بذلك الشقي ، فأجاب بجواب جاهل وقال : ! 2 2 ! فتبجح بآلهته ، التي هي من الحجر
والأصنام ، ولام إبراهيم عن رغبته عنها ، وهذا من الجهل المفرط ، والكفر الوخيم ، يتمدح
بعبادة الأوثان ، ويدعو إليها . ! 2 2 ! أي : عن شتم آلهتي ، ودعوتي إلى عبادة الله ! 2
! 2 ! أي : قتلا بالحجارة ! 2 2 ! أي : لا تكلمني زمانا طويلا . فأجابه الخليل ، جواب
عباد الرحمن عند خطاب الجاهلين ، ولم يشتمه بل صبر ، ولم يقابل أباه بما يكره ، وقال :
! 2 ! 2 ! أي : ستسلم من خطابي إياك بالشتم والسب ، وبما تكره . ! 2 2 ! أي : لا أزال
أدعو الله لك بالهداية والمغفرة ، بأن يهديك للإسلام ، الذي به تحصل المغفرة . ف ! 2 ! 2
أي : رحيمًا رؤوفا بحالي ، معتنيًا بي ، فلم يزل يستغفر الله له ، رجاء أن يهديه الله ، فلما
تبين له أنه عدو الله ، وأنه لا يفيد فيه شيئا ، ترك الاستغفار له ، وتبرأ منه . وقد أمرنا
الله باتباع ملة إبراهيم ، فمن اتباع ملته ، سلوك طريقه في الدعوة إلى الله ، بطريق العلم
والحكمة ، واللين والسهولة ، والانتقال من رتبة إلى رتبة ، والصبر على ذلك ، وعدم
السآمة منه ، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق ، بالقول والفعل ، ومقابلة ذلك ،
بالصفح ، والعفو ، بل بالإحسان القول والفعلي . فلما أيس من قومه وأبيه قال : ! 2 ! 2
أي : أنتم وأصنامكم ! 2 2 ! وهذا شامل لدعاء العبادة ، ودعاء المسألة ^ (عسى أن لا
أكون بدعاء ربي شقيا) ^ أي : عسى الله أن يسعدني ، بإجابة دعائي ، وقبول أعمالي ، وهذه
وظيفة من أيس ممن دعاهم ، فاتبعوا أهواءهم ، فلم تنجع فيهم المواعظ ، فأصروا في
طغيانهم يعمهون . فمن وقع في هذه الحال فعليه أن يشتغل بإصلاح نفسه ، ويرجو القبول من
ربه ، ويعتزل الشر وأهله . ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه ، من أشق
شيء على النفس ، لأمر كثيرة معروفة ، ومنها انفراده عن يعتز بهم ويتكثر وكان من ترك
شيئا الله عوضه الله خيرا منه ، واعتزل إبراهيم قومه ، قال الله في حقه : ! 2 2 ! من إسحق
ويعقوب ! 2 2 ! فحصل له ولهؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس ، الذين خصهم الله بوحيه ،
واختارهم لرسالته واصطفاهم من العالمين . ! 2 2 ! أي : لإبراهيم وإسماعيل ، إسحق ويعقوب
! 2 ! 2 ! وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة ، من العلوم النافعة ، والأعمال

الصالحة ، والذرية الكثيرة المنتشرة ، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون . ! 2 ! 2
وهذا أيضا من الرحمة التي وهبها لهم ، لأن اﷻ وعد كل محسن ، أن ينشر له ثناء صادقا بحسب
إحسانه ، وهؤلاء من أئمة المحسنين ، فنشر اﷻ الثناء الحسن الصادق ، غير الكاذب ، العالي
غير الخفي فذكرهم ملأ الخافقين ، والثناء عليهم ومحبتهم ، امتلأت بها القلوب ، وفاضت به
الأسنة فصاروا قدوة للمقتدين ، وأئمة للمهتدين ، ولا تزال أذكارهم في سائر العصور ،
متجددة ، وذلك فضل اﷻ ، يؤتیه من يشاء ، واﷻ ذو الفضل العظيم . ! 2 ! 2 ! أي : واذكر في
هذا القرآن العظيم ، موسى بن عمران ، على وجه التبجيل له والتعظيم ، والتعريف بمقامه
الكریم ، وأخلاقه الكاملة . ! 2 ! 2 ! وقرء بفتح اللام ، على معنى أن اﷻ تعالى اختاره
واستخلصه ، واصطفاه على العالمين . وقرء بكسرها ، على معنى أنه كان مخلصا ﷻ تعالى ،
في جميع أعماله ، وأقواله ، ونياته ، فوصفه بالإخلاص في جميع أحواله ، والمعنيان متلازمان
، فإن اﷻ أخلصه ، لإخلاصه ، وإخلاصه ، موجب لاستخلاصه . وأجل حالة يوصف بها العبد ، الإخلاص
منه ، والاستخلاص من ربه . ! 2 ! 2 ! أي : جمع اﷻ له بين الرسالة والنبوة ، فالرسالة
تقتضي تبليغ كلام المرسل ، وتبليغ جميع ما جاء به من